(الفصل العاشر)

"وتكتشفت الأسرار"

فتح نور الدين الورقة ليقرأها بعدما دفعه فضوله لمعرفة ما بها؛ فإذا بها وثيقة طلاق باسم ناردين، لم يصدق ما قرأته عيناه، أخذ يتفحص الوثيقة مرات ومرات وهو في صدمة. لم يكن يتوقع قط بأنها متزوجة، أو بمعنى أدق مطلقة.

ظل صامتًا جامدًا في مكانه، قابضًا بيديه على الوثيقة للحظات، ثم انتبه لنفسه فجمع الصور والأوراق وكل المحتويات المبعثرة، وطوى وثيقة الطلاق كما كانت، وضع كل شيء بمكانه، أخذ الحقيبة وخرج في صمت ثم حدث نفسه قائلًا **"مطلقة؟ إذن من عذبها هذا هو زوجها السابق، ترى ما الذي فعله بها حتى يصل الأمر إلى أن تدخل مستشفى الأمراض النفسية."**. ثم أخذ الحساء والفاكهة وغادر متجهًا إلى ناردين.

في المستشفى استيقظت ناردين وتناولت أدويتها ثم جلست في فراشها تنتظر نور الدين وهي تفكر بما حدث ليلة البارحة، تلك الليلة لم تفارق مخيلتها منذ أن خرجت من غرفة العمليات واستيقظت وهي تمر أمام عينيها ، في تلك

الليلة رأت في عينيه اهتمامًا وخوفًا وحنانًا لم تره في حياتها في عيون أحد من قبل، كما سمعت دقات قلبه وخفقانه كم كان قلقًا فزعًا خائفًا عليها! شعرت بأنفاسه وهي تختلط بأنفاسها، كم كان قريبًا منها كقرب روحها من جسدها! كل هذا لم تستطع أن تنساه. يمر أمام عينيها في كل لحظة؛ فجلست تحدث نفسها وقد علا صوتها دون إرادة منها قائلةً:

- **ماذا كنت سأفعل وحدي لولاكَ؟ من حسن الحظ أنكَ موجود معي.**

كان نور الدين على باب غرفتها يستعد للدخول؛ فسمع حوارها مع نفسها فابتسم، شعر بسعادة أخفاها بابتسامته، ثم دخل قائلًا:

- **كيف حالكِ الآن؟**
- **بخير، الحمد لله، وأنت، كيف حالك؟**
- **أنا بخير، انظري، لقد أحضرت لكِ ما تريدين، وأحضرت حساء الدجاج بالخضراوات الطازجة، فلقد صنعته بنفسي وأتمنى أن يعجبك.**
- **حقًّا؟ هل صنعت لي الحساء بنفسكَ؟ أعتقد أنه سيكون لذيذًا للغاية، حتى الآن لم أنس طبق المعكرونة؛ فأنت ماهر حقًّا في هذا المجال.**

تابعت وهي تمازحه:

- **كان الأفضل لكَ أن تعمل شيف بأحد المطاعم الفاخرة بدلًا من أعمال الزراعة تلك.**

فضحك نور الدين ثم قال:

- **حسنًا، كفاكِ سخرية، هيا تناولي بعض الحساء والدجاج، فأنتِ بحاجة إلى الطعام.**

نظرت إليه للحظة وهي مبتسمة ثم قالت:

- **مهلًا، مهلًا، هل تعطيني أوامر؟**

فعقد حاجبيه ثم قال مازحًا:

- **نعم، وإذا لزم الأمر فسوف أطعمك عنوة.**

فاعتدلت في جلستها ثم تأوهت متألمة:

- **آه.**

فانزعج وعلى الفورأسرع يساعدها على الاعتدال قائلًا:

- **رويدكِ، ما زال جرحكِ حديثًا.**

اتكأت عليه وهي تعتدل ناظرة في عمق عينيه اللتين امتلأتا بالخوف عليها، ظلت تنظر داخل عينيه الخضراوين الجميلتين للحظات، وكأنها تاهت في جنة خضراء جميلة لا تريد العودة منها، هو الآخر ظل ينظر داخل عينيها العسليتين الحزينتين المتألمتين؛ فأطلق نفسه لتضيع فيهما علَّه يستطيع أن يكتشف ما بداخلهما من أسرار، علَّه يعلم كيف أصبحتا تلك العينين

الساحرتين سجنًا للألم والدموع، وبعد لحظات، انتبهت ناردين لوضعها ذاك، فأبعدت عينيها عن عيني نور الدين ثم قالت:

- **حسنًا، سأتناول الحساء والدجاج، ولكن بشرط.**

وهنا تدارك نور الدين الموقف؛ فتمالك نفسه قائلًا:

-وما هو يا ترى؟

فابتسمت قائلة:

- **أن تتناول معي الحساء.**

فابتسم نور الدين ثم قال:

- **هل هذا هو شرطك؟ حسنًا، موافق، ثم جلسا يتناولان الحساء والدجاج.**

كانت لم تستطع أن تتناول بنفسها بسبب جرحها؛ فساعدها نور الدين، وأخذ يطعمها بيده وهو ينظر إليها محدثًا نفسه **"ترى ماذا حدث لكِ؟ ومن هو زوجكِ هذا؟ أقصد طليقكِ؟ وماذا فعل لكِ حتى جعلك تتركين الدنيا بأكملها وتفرين هاربة إلى هنا إلى مصير مجهول؟ أي ألم وأي عذاب ألحقه بكِ ذلك القذر؟ لو تخبريني بكل شيء ربما تزول تلك الحواجز التي تحول بيني وبينك.**

في المقابل كانت "ناردين" تأكل من يديه وهي ترمقه بنظرات عشق وامتنان شديد محدثة نفسها **"أين كنت يا نور الدين؟ لماذا لم أقابلك منذ البداية؟ ربما**

لو كنت قابلتك قبل الذي حدث لي في الماضي كنت أصبحت سعيدة في حياتى، ربما ما كنت عانيت ما عانيته. أشعر بأنك أنت الآخر قد عانيت الكثير، فهذا الإنسان الحنون الرائع الذي أراه أمامى الآن لا يمكن أن يكون هو ذلك الشخص الفظ الوقح الذي قابلته في بداية تعرفي إليك. أشعر بأن ألمًا ما هو الذي حولك إلى ذلك الشخص، لو تخبرني عن ماضيك، عما يؤلمك، عن سبب حالتك تلك، عن السبب الحقيقي الذي جعلك تترك أهلك وبلدك ودنياك وتفر هاربًا إلى هنا مثلي.".

وبعد لحظات من حوارات النفس هذه نظر كلٌ منهما إلى الآخر وفي نفس اللحظة قالا:

- **هل يمكن أن أسألكَ/ أسألكِ عن شيء ما؟**

ثم ضحك الاثنان ودهشا؛ لأنهما تحدثا في نفس اللحظة وبنفس السؤال، فصمتت ناردين وهي تضحك، ثم أشارت إلى نور الدين أن يتحدث هو أولًا، فابتسم ثم سألها مستفسرًا:

- **لماذا أتيتي إلى هنا؟ وأين هم أهلك؟ وكيف وافقوا على سفرك إلى هنا؟**

فابتسمت ابتسامة باهتة مكسورة تخفى وراءها ألمًا وحزنًا بدا جليًا في عينيها ثم قالت:

- **حسنًا، ساجيبك عن كل أسئلتك، ولكن بالمقابل، سوف تجيبني عن كل أسئلتي هل إافقنا؟**
- **حسنًا، اتفقنا .**
- **إذن، سوف أجيبك الآن، أما عن أهلي، فأنا ليس لي سوى والدي فقط، والدتي توفيت منذ أن كنت صغيرة، وأبي تزوج بأخرى، أنجبت له أخي فأصبح كل شيء في حياة والدي؛ فأهملني، لم أعد مفضلته كما كنت سابقًا، على أي حال، لذلك فأنا ليس لي أحد إذا صح التعبير، وكيف وافقوا؟ في البداية لم يكن أبي موافقًا قط على سفري، ولكن أمام إصراري خضع، وأعتقد أنه قد استحسن الفكرة واستراح من مشاكلي. لم يعد يهتم، منذ أن سافرت وأتيت إلى هنا، لم يحادثني سوى محادثة هاتفية واحدة، اطمأن بها أنني قد وصلت، ولم يعد يتصل بي فهو مشغول بغيرى. على أي حال، لست بحاجة إليه، ولا إلى غيره، أما سبب مجيئي إلى هنا؛ فهذا هو الشق الأصعب في سؤالك.**

ثم صمتت للحظات علم خلالها نور الدين بأنها تقصد طلاقها؛ فظل صامتًا هو الآخر يتابعها بنظراته، ثم تابعت حديثها:

- **أنا أتيت إلى هنا؛ لأني أردت أن أبتعد عن كل شيء يذكرني بالماضي، وبما حدث لي وبما عشته. أردت بداية حياة جديدة أؤسسها بنفسي ولنفسي.**

وهنا شعر نور الدين بأنها لا تريد الحديث عن زوجها ذاك؛ فهي لم تذكر حتى اللحظة أنها كانت متزوجة؛ فقرر هو أن يحثها على الحديث عن زواجها، فقال:

- ناردين، اليوم وأنا أحضر لك أغراضك، رغمًا عني أسقطت علبة كانت في خزينة ملابسك.

وقبل أن يتابع قاطعته في حزم:

- حسنًا، حسنًا، فهمت، لقد رأيت ما بداخل العلبة، أليس كذلك؟ رأيت وثيقة طلاقي وهذا ما أردت الحديث حوله أليس كذلك؟

فارتبك نور الدين، وشعر بأنها قد تألمت فقال:

- عفوا ، صدقيني، لم أكن أقصد؛ فلقد وقعت الوثيقة في يدي وأنا أجمع محتويات العلبة. سامحيني إذا سببت لكِ إزعاجًا، أعتذر.

ثم هب واقفًا واستعد ليغادر غرفتها؛ فلقد شعر بأنه قد ضغط على جرح آلام روحها كثيرًا، لكنها تمالكت نفسها، ثم أمسكت بيديه لتستوقفه قائلة:

- حسنًا، حسنًا، لا داعي للاعتذار، انتظر، فسوف أخبرك بأمر طلاقي.

شعر نور الدين بيدها وهي تتمسك بيديه بقوة وكأنها ترجوه أن يظل معها وألا يتركها، وكأنها بحاجة فعلًا إلى وجوده بجوارها؛ فأطبق على يديها بين كفيه مطمئنًا إياها ثم ابتسم قائلًا:

- **لا يهم، متى تكونين مستعدة للحديث ستجدينني أسمعك.**

فأجابته على الفور:

- **لا، سأخبرك الآن، لا أريد أن أخفي عنك شيئًا، كما أنك وعدتني بأنك سوف تخبرني عن كل ما أسأل عنه.**

فأجابها مازحًا:

- **إن شاء الله.**

فابتسمت قائلةً:

- **ماذا يعني هذا؟ ألن تخبرني؟**

فأجابها :

- **بالطبع سوف أخبرك بكل شيء عني، أعدك بذلك، فأنا أيضًا لا أريد أن أخفي عنك شيئًا.**
- **حسنًا نعود إلى طلاقي، عندما توفيت أمي، فقدت رغبتي بكل شيء في الحياة، وسارت حياتي مملة، حتى تخرجت، وبعد ولادة أخي لم يعد لي وجود في حياة أبي؛ فكل شيء أصبح لأخي، الاهتمام، والحب، استصعبت الحياة في**

بيت أبي كثيرًا؛ فلقد كنت وحيدة جدًّا، وكنت أريد أن أغادر هذا البيت بأى شكل كان، تقدم لخطبتي ابن أحد أصدقاء والدي، وافقت على الفور وتزوجت من جلال ولم أكن أعرفه قبل ذلك، تزوجته فقط لأترك بيت والدي، كان مناسبًا لي على جميع المستويات،كما أن مظهره كان لابأس به، ومنذ الليلة الأولى لزواجنا؛ وحتى انفصالى عنه بعد سنتين من المعاناة والعذاب لم يلمسني كزوجة، كان مريضًا نفسيًا، يستمتع بتعذيبي كل ليلة بضربي وإهانتي.

ثم صمتت، وأخذت تبكى بشدة؛ فهي كلما تذكرت تلك الأيام المرعبة تبكي، فاقترب منها نور الدين وضمها إليه، ثم قال:

- حسنًا يكفي، لا تبكي، فهذا القذر لم يكن إنسانًا قط، ومن الجيد أنك استطعتي التخلص منه.

فتابعت وهي تبكي:

- ما زلت حتى الآن أراه كابوسًا في نومي، أستيقظ كل ليلة مرعوبة مما أراه، لم أستطع التخلص منه حتى الآن، أراه وهو يضع السكين على عنقي كما كان يفعل معي. بعد سنتين من العذاب لم تعد أعصابي تتحمل؛ فانهرت ودخلت إلى المستشفى، هناك بعد فترة من علاجي أخبرت الطبيبة النفسية -التي كانت تتابع حالتي- والدي بالحقيقة ونصحته بضرورة انفصاله عني. بالفعل

والدي أجبره على تطليقي، ثم قرأت عن هذا المشروع فطلبت من خالي أن يرسلني إلى أبعد مكان، وها أنا هنا. هذه هي حكايتي فماذا عنك؟ ما هي حكايتك؟

تنهد نور الدين ثم عقب متأثرًا:

- لقد عانيتي الكثير يا ناردين،كم أنتِ إنسانة قوية لأنك تحملتِ كل هذا العذاب! لكن لا تخافي بعد الآن، لن يستطيع هذا القذر إيذاءك حتى في أحلامك، أما عن حكايتي فهي لا تختلف كثيرًا عن حكايتك، كنت أحبها جدًّا، خطيبتي وابنة خالي، لكنها تركتني من أجل المال؛ فخانتني، وباعت نفسها لمن يدفع أكثر. كنت أظنها غالية،لكنها في حقيقة الأمر كانت أرخص مما أظن. أنا أيضًا قرأت عن هذا المشروع؛ فتقدمت وقررت أن أبني مستقبلي، قررت أن أبني مزرعتي لأعيش فيها مع والدي ووالدتي وإخوتي، وكان التوزيع إلى هنا فأتيت. كنت أظن أن القدر قد أخذ مني حلمًا لطالما تمنيته، لكني لم أكن أعلم بأنه سوف يمنحنى واقعًا أروع مما كنت أحلم به.

ثم أمسك بيدها ونظر فى عينيها قائلًا:

- لقد منحني القدر إياكِ؛ فأنتِ واقعي الذي لم أكن أتخيل يومًا بأنني سوف أحلم به مجرد حلم. أنا أحبكِ يا ناردين.